

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بعظمته وكبريائه ومجده ، المدبر للأمور بمشيئته وحكمته وحمده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وفضله ورفده ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خير داع إلى هداه ورشده ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وجنده .

وبعد ... ؛

فإن البركة كلمة طيبة ومعنى جميل يتمناه الجميع ، بل وكلما جلست مع شيخ كبير في السن حكى لك عن الزمن الجميل أيام كانت البركة في كل شيء ؛ في المال والرزق والولد والعمل والوقت ، ثم شكى لك بأن الزمن قد تغير ولم تعد هناك بركة في أي شيء فتقوم من عنده وتقول : لديه كل الحق .

لكن البركة لا تنتهي من الكون فخير الله تعالى على خلقه لا ينقطع ، قال تعالى :" وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) **سورة الأنعام.**

وأهل البركة وأهل الخير لا يخلو منهم الزمان والمكان ، قال تعالى :" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

الْكَبِيرُ} (٣٢) **سورة فاطر.**

عن سهل بن سعد ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال:" إن هذا الخير خزائن ، ولتلك الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر ، وويل لعبد ، جعله الله مفتاحا للشر ، مغلاقا للخير.**أخرجه ابن ماجة (٢٣٨) الألباني(حسن) انظر حديث رقم: ٤١٠٨ في صحيح الجامع .**

فالبركة مطلب كل عاقل وأمل كل راغب وسائل ، لذا فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :" اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مِنْ تُرَاثِ الأَرْضِ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا.**أخرجه أحمد ٣٤٢/٣(١٤٧٤٦) و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) ٤٨٣ .**

وقَالَ : قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ:عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ : رَبِّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّكَ لاَ تَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ.**الألباني:صحيح ، ابن ماجة (١١٧٨) وصحيح أبي داود (١٢٨١).**

وقد سمى الله تعالى الأشياء التي يحبها بالمباركة تعظيماً لشأنها وتنويهاً بفضلها ، يقول الإمام الرازي : " المبارك : وسمى الله تعالى به أشياء ، فسمي الموضع الذي كلم فيه موسى عليه السلام مباركاً { فِي البقعة المباركة مِنَ الشجرة } **[القصص : ٣٠]** وسمى شجرة الزيتون مباركة { يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة زَيْتُونَةٍ } **[التوبة : ٣٥]**

لكثرة منافعها ، وسمي عيسى مباركا { وَجَعَلَنِي مُبَارَكـــاً } [مريم: ٣١] وسمى المطر مباركاً { وَنَزَّلْنَا مِنَ السماء مَاء مباركا } [ق : ٩] لما فيه من المنافع ، وسمي ليلة القدر مباركة { إِنَّا أنزلنـــاه فـــي لَيْلَةٍ مباركة } [الدخان : ٣] فالقرآن ذكر مبارك أنزله ملك مبارك في ليلة مباركة على نبي مبارك لأمة مباركة .

وهذه الرسالة تتحدث عن : " البركة وسبل تحصيلها ".

وقد تناولت فيها – بحمد الله تعالى وتوفيقه – ثلاثة عناصر:

أولاً : معنى البركة وأنواعها.

ثانياً : موانع البركة .

ثالثاً :سبل تحصيل البركة.

والله أسأل أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وأن يبارك لنا فيما رزقنا وأن يقنعنا بما أعطانا إنه ولي ذلك والقـــادر عليـــه ، وآخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ١٧ جمادى الأولى ١٤٣١ هـ = ١ إبريل ٢٠١٠ م

أولا : معنى البركة وأنواعها

وردت كلمة البركة في مجموعها بمعنى: الزيادة والنماء وكثرة الخير وهناء العيش والكفاية في كل شيء ، فالله تعالى إذا أراد الله بالعبد خيرًا بارك له في رزقه، وكتب له الخير فيما أولاه من النعم.

ولقد جاءت في القرآن الكريم في عدة مواضع ،فوصف الله به بعض أنبيائه ورسله ، فقال في وصف كليمه عيسى عليه السلام : " وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) **سورة مريم**.

قال صاحب " النكت والعيون ": وفي " مُبارَكٌ . ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه العظيم البركة لما فيه من الاستشهاد به .

والثاني : لما فيه من زيادة البيان لأن البركة هي الزيادة .

والثالث : أن المبارك الثابت . **تفسير الماوردي ١٤٣/٣.**

ووصف الله بها كتابه الكريم فقال : " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) **سورة ص**.

قال أهل المعاني كتاب مبارك أي كثير خيره دائم بركته ومنفعته ، يبشر بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية. **تفسير الرازي ٣٧٥/٦.**

بل وصف الله تعالى الليلة التي أنزل الله تعالى فيها القرآن الكريم بأنها ليلة البركة ، قال سبحانه :" حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) **سورة الدخان**.

قال ابن العربي :" الْبَرَكَةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ، وَسَمَّاهَا مُبَارَكَةً لِمَا يُعْطِي اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَنَازِلِ، وَيَغْفِرُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيُقَسِّمُ مِنَ الْحُظُوظِ، وَيَبُثُّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَيُنِيلُ مِنَ الْخَيْرِ، وَهِيَ حَقِيقَةُ ذَلِكَ وَتَفْسِيرُهُ. **أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦/٤.**

ووصف الله تعالى بيته الحرام بأنه بيت مبارك فقال سبحانه" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) **سورة آل عمران.**

وفي الصلاة نقول : (وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد) قال المباركفوري : الْبَرَكَة هنا هِيَ الثُّبُوت وَالدَّوَام مِنْ قَوْلهمْ : بَرَكَ الْبَعِير إِذَا ثَبَتَ وَدَامَ أَيْ أَدِمْ شَرَفه وَكَرَامَته وَتَعْظِيمه . **عون المعبود ٣٦٧/٣.**

الفرق بين البركة والزيادة: البركة: هي الزيادة والنماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهرا، فإذا عهد من الشئ هذا المعنى خافيا عن الحس، قيل هذه بركة قيل: اشتقاقها من البروك، وهو اللزوم والثبوت، لثبوتها في الشئ.ويوصف بها كل شئ لزمه وثبت فيه خير إلهي.راجع :**الكليات لأبي البقاء(البركة ١: ٤٣١ والزيادة ٣: ٤٠٦).**

والبركة نوعان : فقد تكون جلية، وقد تكون خفية، فالبركة الجلية : هو ما يشاهد كثيرًا بالعادة من كثرة الخير وسوق الرزق للإنسان، ونمائه عند صاحبه وما يرافق ذلك من توفيق، وتيسير في الحصول

على الرزق، ونحوه.

والبركة الخفية : قد تكون بدفع المضرات والجوائح والآفات عن الرزق، وعدم تعرض الإنسان للحوادث والأمراض الخطيرة، ونحوه مما يأتي على جانب كبير من رزقه، وقد ذكروا بأن الغنم أو الأنعام إذا أنتجت الإناث فهذا من البركة الخفية لأنها تنمو وتتضاعف، وإذا أنتجت الخراف أو الذكور فهذا من المحق الخفي.

ومن يقرأ في أحوال أهل البركة وكيف بارك الله تعالى لهم في أحوالهم وأرزاقهم يجد العجب العجاب.

فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يهاجر إلى المدينة تاركاً كل أمواله في مكة فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : تَعَالَ حَتَّى أُقَاسِمَكَ مَالِي ، وَأَنْزِلَ لَكَ عَنْ أَيِّ امْرَأَتَيَّ شِئْتَ ، فَأَكْفِيكَ الْعَمَلَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عَوْفٍ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ.**أخرجه مالك "الموطأ" ١٥٧٠ "أحمد" ١٩٠/٣(١٣٠٠٧) و"البُخَارِي" ٢٠٤٩.**

ودخل ابنُ عَوفٍ سوقَ المدينة وعمره ثلاثٌ وأربعون سَنَة، وكان صنَّاع السّوق وسَمَاسِرته من يهود بني قينقاع، فلم يثْنِ عزيمتَه، ولم يفتَّ في همَّته هذا الاحتكارُ اليهودي، بل زاحمَ في السُّوق، واشترى وباع، وربح وادَّخر، وهكذا سارتْ به الأيَّام، وهو يكدح في العمل وطلَب الحلال والعفاف.

سأله أحد أصحابه: "بِمَ أدركتَ من التِّجارة ما أدْركتَ؟ فقال: "لأنِّي لم أشترِ معيبًا، ولم أُرِد ربحًا كثيرًا، والله يبارك لِمَنْ يشاء".

وبارك الله لابنِ عوف في تِجارتِه، فكان لا يشتري شيئًا إلاَّ ربِح فيه،

حتَّى قال عن نفْسِه مُتَعجِّبًا: "لقد رأيتُني لو رفعتُ حجرًا، لوجدتُ تَحتَه فضَّة وذهبًا".

وكان رضي الله عنه لا يهنأ إلاَّ بإنفاق المال، سرًّا وجهرًا، في العُسْر واليُسْر، حتَّى ملك القُلوبَ بِماله، فشاطرَه بالانتِفاع في هذا المال أهلُه وأقاربُه، وإخوانُه ومجتمعه، حتَّى قيل: "كان أهلُ المدينة عيالاً على عبدالرحمن بن عوف: ثلُثٌ يُقْرِضهم مالَه، وثلُث يقضي دَينهم، ويَصِلُ ثلثًا".

سمع النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يدْعو النَّاس للصَّدقة، لكي يُجهِّز سريَّة، فذهب إلى بيْتِه مسرعًا ثُمَّ عاد، ونثَر بين يدَي النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أربعة آلاف دينار، هي نِصْف مالِه، فدعا له النبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- في ماله.

قدَّم يومًا لجيوش الإسلام خمسَمائةِ فرسٍ، ومرَّة ألفًا وخمسمائة راحلة، باع يومًا أرضًا بأرْبعين ألف درهم، فقسمها في فقراء أقاربه، والمهاجرين وأمَّهات المؤمنين.

في غزوة تَبُوك، حينما كان الحاجةُ للمال أكثرَ من الرجال، أنفقَ ابنُ عوف إنفاق مَن لا يخْشى الفقر.

وتصدَّق بصدقةٍ عظيمة، حتَّى قال عمر بن الخطَّاب بعد أن رأى كثْرةَ صدقتِه: "إنِّي لا أرى عبدالرَّحمن إلاَّ مرتكبًا إثمًا، فما ترك لأهله شيئًا".

ولكن البركة في ماله جعلته يترك لأهله كثيرا ، قال أَنَس رضي الله عنه : فَلَقَدْ رَأَيْته قُسِمَ لِكُلِّ اِمْرَأَة مِنْ نِسَائِهِ بَعْد مَوْته مِائَة أَلْف " . قُلْت : مَاتَ عَنْ أَرْبَع نِسْوَة فَيَكُون جَمِيع تَرِكَته ثَلَاثَة آلَاف أَلْف

وَمِائَتَيْ أَلْف. **راجع : فتح الباري لابن حجر ٤٤٨/١٤.**

وهذا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الذي جهز جيش العُسْرَة بتسعمائةٍ وخمسين بعيراً وخمسين فرساً ، واستغرق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الدعاء له يومها ، ورفع يديه حتى أُريَ بياض إبطيه... فقد جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهّز جيش العسرة فنثرها في حجره ، فجعل- صلى الله عليه وسلم- يقلبها ويقول :(ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم) قالها مرارا . **أحمد في فضائل الصحابة (٥١٨/١ ، رقم ٨٥٤).**

واشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم ،وقد قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلّم «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ». فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ». فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.**فيض الباري ٨٩/٦.**

وقيل :انبسطت الأموال في زمنه رضي الله عنه حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف ، ونخلة بألف درهم ، وحجّ بالناس عشر حجج متوالية . **المحب الطبري :الرياض النضرة في مناقب العشرة ٤٩/١.**

فالبركة لا تنتهي من الكون ، وأهل البركة لا يخلو منهم الزمان والمكان ، قد تنقص البركة أو تقل لأسبابها ولكن لا تنمحي بالكلية من الأرض ،ولقد بشرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلاَ يَجِدُ أَحَدا يَقْبَلُهَا مِنْهُ ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا ، وَحَتَّى يَكْثُرَ

الْهَرج . قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ يَارَسُولَ الله ؛ قَالَ : الْقَتْلُ . الْقَتْلُ. **أخرجه أحمد ٣٧٠/٢(٨٨١٩) و"مسلم" ٨٤/٣ و١٧٠/٨.**

وفي حديث وصف المهدي المنتظر : " ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَـرًا لا يَكُـنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِـصَابَةُ مِـنَ الرُّمَّانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَـةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَـذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فَتَقْـبِضُ رُوحَ كُـلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَـيْهِمْ تَقُـومُ الـسَّاعَةُ. **أخرجه أحمد ١٨١/٤(١٧٧٧٩) و"مسلم"١٩٦/٨(٧٤٨٣).**

وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن البركة في الجنة فقال ، عَنْ عَامِرِ بْنِ زَيْدٍ الْبِكَالِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيَّ ، يَقُولُ:جَـاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن الحَـوْضُ ، وذكر الجنة ، قال : الأعرابي ، أَفِيهَا فَاكِهَةٌ ؟ قَالَ : نَعَـمْ ، إِنَّ فِيهَـا شَجَرَةً تُدْعَى طُوبَى ، هِيَ تُطَابِقُ الْفِرْدَوْسَ ، قَالَ : أَيُّ شَجَرِ أَرْضِـنَا تُشْبِهُ ؟ قَالَ : لَيْسَ شِبْهُ شَيْءٍ مِنْ شَجَرِ أَرْضِكُمْ ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ ؟ فَقَالَ : لاَ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَإِنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ ، تُـدْعَى جَوْزٌ ، تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ ، وَيَنْتَشِرُ أَعْلاَهَا ، قَالَ : مَا عِظَمُ أَصْلِهَا ؟ قَالَ ، لَوِ ارْتَحَلْتَ جَذَعَةً مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَطْتَ بِأَصْـلِهَا ، حَتَّـى

تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتَاهَا هَرَمًا.قَالَ : فِيهَا عِنَبٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ فِيهَا ؟ قَالَ : مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأَبْقَعِ ، لاَ يَنْثَنِي ، وَلاَ يَفْتُرُ ، قَالَ : مَا عِظَمُ الْحَبَّةِ مِنْهَا ؟ قَالَ : هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَمْ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ ، فَقَالَ : ادْبُغِي لَنَا هَذَا ، ثُمَّ افْرِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا ، نَرْوِي بِهِ مَاشِيَتَنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ.**أخرجه أحمد ٤/١٨٣(١٧٧٩٣).**

والبركة ليست في المال والرزق فقط إنما تكون في كل شيء ، تكون في الولد والأهل والأصدقاء والجيران ، وفي العلم والوقت ، ومن يقرأ سير أعلام وعلماء السلف يجد العجب العجاب ويستشعر كيف بارك الله لهم في علمهم وأوقاتهم .

فها هو ابن جرير الطبري قد مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة وقد صار مجموع ما صنفه نحو ٣٥٨ ألف ورقة ، وقد ولد بن جرير سنة ٢٢٤هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ فعاش ٨١ سنة فإذا طرحنا منها سنة قبل البلوغ وقدرناها بأربع عشرة سنة يكون قد بقى ابن جرير سنتين وسبعين سنة يكتب كل يوم ١٤ ورقة فإذا حسبنا الاثنين والسبعين سنة وجعلت كل يوم منها ١٤ ورقة تضيفا كان مجموع ما صنعه نحو ٣٥٨ ألف ورقة .

هذا أبو بكر الأنباري يدخل عليه الطبيب في مرض موته، فينظر إلى مائه – يعني بوله – ويقول له: قد كنت تفعل شيئا لا يفعله أحد، ثم يخرج فيقول: ما يجيء منه شيء. ويعود إليه ويسأله: ما الذي كنت

تفعل؟ فيقول له أبو بكر –رحمه الله –: كنت أعيد في كــل أســبوع عشرة آلاف ورقة .

وها هي امرأة الحافظ محمد بن مــسلم المعــروف بــابن شــهاب الزهري، المحدث المشهور المتوفي ١٢٤ هـــ، تــشكو مــن تعلــق زوجها بالكتب، وطول معايشته لها فتقول: والله، إن هذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر .

وهذا الشيخ عبد العظيم المنذري (صاحب كتاب الترغيب والترهيــب المتوفى ٦٥٦ ه) يحكي عن إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادي، فيقول: ولم أر، ولم أسمع أحدا أكثر اجتهادا منه في الاشتغال، كــان دائم الاشتغال في الليل والنهار، وقد جاورته في المدرســة – يعنــي القاهرة – بيتي فوق بيته، اثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي، في ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج في بيته، وهو مشتغل بالعلم، وحتى كان في حال الأكل، والكتاب والكتب عنده يشتغل فيها .

وهذا العلامة ابن الجوزي (المتوفى ٥٩٧ ه) يقول عــن نفــسه: وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكأني وقعت على كنز، فلو قلت: إني قد طالعت عــشرين ألــف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في طلب الكتب، فاســتفدت بــالنظر فيهــا ملاحظة سير القوم، قدر هممهم، وحفظهم، وعــاداتهم، وغرائــب لا يعرفها من لم يطالع .

وهذا الحافظ ابن قيم الجوزية – رحمه الله – يقول: وأعــرف مــن

أصابه مرض من صداع، وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوما وهو كذلك، فقال: إن هذا لا يحل لك، فإنك تعين على نفسك، وتكون سببا لفوات مطلوبك .

وهذا عبد الرحمن بن تيمية ينقل عن أبيه، عن جده، فيقول: كان الجد إذا دخل الخلاء، يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب، وارفع صوتك حتى أسمع .

وهذا أبو عثمان أحد شيوخ البخاري يقول: ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم، وإلا قمت له بمالي، فإن تم، وإلا استعنت له بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان .

وهذا الليث بن سعد – رحمه الله – كان يجلس للمسائل، يغشاه الناس فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيرده، كثرت حاجته، أو صغرت . **انظر : السيد محمد نوح : آفات على الطريق ٣/٦٣.**

قال الشاعر :

سَهَرِي لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي * * * مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِ

وَصَريرُ أَقلامي عَلى صَفَحاتِ ها * * * أَحلى مِنَ الدَوكاءِ وَالعُشّاقِ

وَأَلَذُّ مِن نَقرِ الفَتاةِ لِدَفِّها * * * نَقري لِأُلقي الرَملَ عَن أَوراقي

وَتَمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ * * * في الدَرسِ أَشهى مِن مُدامَةِ ساقِ

أَأَبيتُ سَهرانَ الدُجى وَتَبيتُهُ * * * نَوماً وَتَبغي بَعدَ ذاكَ لِحاقي

ثانيا : موانع البركة

١- المعاصي والذنوب :

المعاصي والذنوب سببٌ لحرمان الأرزاق، وسببٌ لفشوّ الفقر وحرمان البركة فيما أُعطي العباد، عَنْ ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:لاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ. **أخرجه أحمد ٥/٢٧٧(٢٢٧٤٥) و"ابن ماجة" ٩٠ و٤٠٢٢ .**

قال علي بن أبي طالب:

إذا كنت في نعمةٍ فأرعها * فإن المعاصي تزيل النعم**

وحافظ عليها بتقوى الإله * فإن الإله سريع النقم**

فإن تعط نفسك آمالها * فعند مناها يحل النقم**

فأين القرون ومن حولهم* تفانوا جميعاً وربي الحكم**

والمعاصي والذنوب سببٌ لهوان العبد على ربّه وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري رحمه الله "هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم". **جامع العلوم والحكم (ص١٨٨).**

ومتى هان العبدُ على الله جل وعلا لم يُكرمْه أحد كما قال سبحانه: وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ **[الحج:١٨].**

لما فُتحت قُبرص بكى أبو الدرداء رضي الله عنه فقيل له: ما يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الإسلامَ وأهله؟ فقال: (ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملكُ تركوا أمرَ الله فصاروا إلى ما ترى). **أبو نعيم في الحلية (٢١٧/١)، وابن**

الجوزي في المنتظم (٣٦٤/٤).

من آثار الذنوب والمعاصي على البلاد والعباد أنها تُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء والزروع والثمار والمساكن وغيرها، قال جل وعلا: " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" **[الروم:٤١]**. والمراد بالفساد في الآية النقصُ والشرور والآلام التي تحدث في الأرض عند معاصي العباد، فكلَّما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة، قال بعض السلف: "كلّما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبةً"، قال مجاهد: "إذا ولي الظالمُ وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطرَ، حتى يهلك الحرثُ والنسل"، ثم قرأ هذه الآية ثم قال: "أما والله، ما هو ببحركم هذا، ولكن كلّ قرية على ماءٍ جارٍ فهو بحر".

أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٩/٢١).

قال ابن القيم : اعلَمْ – أَصلَحَ اللّاهُ قَلْبَكَ – بِأَنَّ القَلُوبَ تَمْرَضُ بِالمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ، وتَأَثِيرُ "الذُّنُوبِ فِي القُلُوبِ كَتَأَثِيرِ الأَمْرَاضِ فِي الأَبْدَانِ، بَلِ الذُّنُوبُ أَمْرَاضُ القُلُوبِ ودَاؤُهَا، وَلا دوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا.

الداء والدواء (ص١٣١).

عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا قَالَ ثَوْبَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ

انْتَهَكُوهَا . **أخرجه ابن ماجه (١٤١٨/٣ ، رقم ٤٣٤٥) ، قال البوصيري (٣٤٦/٤) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات قال الألباني في "السلسلة الصحيحة " ٣ / ١٨.**

قال الشاعر:

تَفْنَى اللَّذَائِذُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا * مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَى الإِثْمُ والعَارُ**

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا * لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِن بَعْدِهَا النَّارُ**

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسَعة في الرزق، وقوّة في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق. وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبُغضاً في قلوب الخلق) **انظر: الاستقامة (٣٥١/١)، ومدارج السالكين (٤٣٤/١).**

قال عبدالله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب * * * وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب * * * وخير لنفسك عصيانها

وهل بدل الدين غير الملوك * * * وأحبار سوءٍ ورهبانها

٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لنزع البركة من كل شيء ؛ لأن الله تعالى ميز هذه الأمة بتلك الخصيصة ، فقال عز من قائل : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ " **آل عمران: ١١٠.**

وعن حذيفة عن اليمان : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال

والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . **قال أبو عيسى هذا حديث حسن .سنن الترمذي ٤/٤٦٨ الألباني :حسن ، المشكاة (٥١٤٠).**

فمن قام بالمعروف والنهي عن المنكر مكَّنه الله ونصره ، وأيَّده الله وسدَّده ، وبارك في سعيه وعمله ، قال سبحانه وتعالى: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) **(الحج: ٤٠-٤١).**

إن فشو المنكرات يؤدي إلى سلب نور القلب، وانطفاء جذوة الإيمان، وموت الغيرة على حرمات الله، فتسود الفوضى، وتستفحل الجريمة، ثم يحيق بالقوم مكر الله. حتى إن كثرة رؤية المنكرات يقوم مقام ارتكابها في سلب القلب نور التمييز وقوة الإنكار. لأن المنكرات إذا كثر على القلب ورودها، وتكرر في العين شهودها، ذهبت من القلوب وحشتها، فتعتادها النفوس، فلا يخطر على البال أنها منكرات، ولا يميز الفكر أنها معاصي.

قال الشاعر :

تحاكموا فاستطالو في تحكمهم * * * وإما قليل كأنما الأمر لم يكن

لو أنصفوا أنصفوا ولكن بغوا* * * فبغى عليهم الدهر بالأحزان والمحن

وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم* * * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

يقول بعض الصالحين : إن الخوف كل الخوف من تأنيس القلوب بالمنكرات، لأنها إذا توالت مباشرتها ومشاهدتها أنست بها النفوس،

والنفوس إذا أنست شيئاً، قل أن تتأثر به.

٣- التحاسد والتباغض :

ذم الله تعالى التحاسد والتباغض وجعله صفة لأهل الكفر والنفاق ، قال تعالى : " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " **(١٠٩) سورة البقرة.**

وعَنْ ضَمُرَةَ بن ثَعْلَبَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا". **أخرجه الطبراني (٣٠٩/٨ ، رقم ٨١٥٧) . قال الهيثمى (٧٨/٨) : رجاله ثقات، السلسلة الصحيحة ١٧٣/٩.**

وروى الترمذي عن الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تَحْلِقُ الشعر ولكن تحلق الدين». **[صحيح الترمذي ٢٠٣٨ وصحيح الجامع (٣٣٦١) صحيح لغيره)**.قال المباركفوري : " تَحْلِقُ الدِّين أي تَسْتَأْصِلهُ كمَا يَسْتَأْصِلِ الْمُوسَى الشَّعْر" **عون المعبود ٢٩٧/٩.**

قال الدكتور فيكتور يوشيه:" إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد، وإنها لآفات تنتج سموماً تضر بالصحة وتقضي على جانب كبير من الطاقة والحيوية اللازمتين للتفكير والعمل ". **(القرآن والعلم للدكتور / عبد الرزاق نوفل صـ ٣٨).**

قال الشاعر :

أيا حاسداً لي على نـعمتي * * * أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه * * * لأنـك لم تـرض لي ما وهب

فأخزاك ربـي بـأن زادنـي * * * وسد عليـك وجوه الطلب

فالتحاسد والتباغض سبب لزوال النعم وحلول النقم ونزع البركات .

٤- عـدم الإخـلاص في الـعـمـل:

الإخلاص سر الأعمال وموضع قبولها فالله تعالى لا يقبل من العمــل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه سبحانه ، قال تعــالى : "قُــلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَــرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّــا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) **سورة الأنـعام.**

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِىِّ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ فَقَالَ رَسُــولُ اللَّــهِ صلى الله عليه وسلم لاَ شَىْءَ لَهُ فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لاَ شَىْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَــلُ مِــنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِىَ بِهِ وَجْهُهُ.**أخرجه النـسائي ٣٥/٦ وفي "الكبـرى" ٤٣٣٣ الألبـاني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٨١.**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَــهُ.

رواه البيهقي في الشعب ٣٤٣/٧، (حسن) انظر حديث رقم: ١٨٨٠ في صحيح الجامع .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا إلى قول الله عز وجل: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ **[المائدة:٢٧] أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧٥/١).**

ويقول مالك بن دينار رحمه الله: "الخوف على العمل ألا يُتقبل أشد من العمل".وقال فضالة بن عبيد رحمه الله: "لو أني أعلم أن الله تقبل مني حسنة واحدة لكان أحب إلي من الدنيا وما فيها".**أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٩ ، رقم ٧٨) بنحوه.**

قال الشاعر :

فالدينُ صفوتُه الإخلاصُ معتَقَداً * * * والدينُ لُحمتُه إخلاصُ عُبّادِ

لا يقبلُ اللهُ إلا كلَّ خالصةٍ * * * من الشوائبِ من إشراكِ أندادِ

إليهِ تُرفَعُ أعمالٌ له خَلَصتْ * * * وما سِواها فَتَلْقَى شرَّ إبعادِ

٥- البطر في المعيشة:

بطر المعيشة سبب من أسباب نزع الخير والبركة منها ، قال تعالى : " وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) **سورة القصص.**

قال ابن كثير :" أي: طغت وأشرَت وكفرت نعمة الله ، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، كما قال في الآية الأخرى: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا

قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ " **النحل ١١٢، ١١٣** . ولهذا قال: " فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا " أي: دَثَرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم.**تفسير ابن كثير ٣٤٧/٦.**

فالبطر يوجب عدم رؤية شيء سوى المادة واللذة وما يتبعانه من الفساد والإفساد ، ومن دم الإحساس بنعم الله تعالى على العبد ومن ثم عدم شكرها مما يستوجب زوالها .

كان النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول :" إن للشيطان مصايد وفخوخاً منها البطر بأنعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبر على عباد الله ، وإتباع الهوى في غير ذات الله ".**إحياء علوم الدين ٣٣٩/٣.**

وعن سليمان بن المغيرة قال كان فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود إنك لن تلقانى بعمل هو أرضى لي عنك ولا أحط لوزرك من الرضا بقضائي ولن تلقانى بعمل هو أعظم لوزرك ولا أشد لسخطي عليك من البطر فإياك يا داود والبطر .**ابن أبي الدنيا : الرضا عن الله بقضائه ٤٩.**

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" " سيصيب أمتي داء الأمم ، فقالوا : يا رسول الله و ما داء الأمم ؟ قال : الأشر و البطر و التكاثر و التناجش في الدنيا و التباغض و التحاسد حتى يكون البغي " .**أخرجه الحاكم (٤ / ١٦٨) قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٣ / ٢٩٦ .**

قال المناوي : " وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من (شر فتنة الغنى) أي البطر والطغيان والتفاخر وصرف المال في المعاصي. **فيض القدير ٣/١٣٧.**

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : ابتلينا بالضراء فصبرانا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر .

قال الشاعر :

وَلَيْسَ يَزْجُرُكُمْ مَا تُوعَظُونَ بِهِ * * * وَالبَهْمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجِرُ
لا تَبطَرُوا واهْجُروا الدُّنْيا فإنَّ لها * * * غِبّاً وَخِيمًا وَكُفْرُ النِّعْمَةِ البَطَرُ

إن نعمة المال كثيراً ما تقود الإنسان إلى فتنة البطر ، وقلة الشكر مع السرف أو البخل ، فعلى كل ذي مال أن يكون على يقظة دائمة ، ومعرفة تامة بحقوق هذه النعمة وإلا نزعت البركة منها .

٦- عدم العمل بكلام الناصحين:

عدم الإنصات إلى وعظ الواعظين وعدم العمل بكلام الناصحين من موانع حصول البركة ، بل يكون سبباً في نزول النقمة وزوال النعمة ، قال تعالى: "فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) **سورة الشعراء** ، وقوله تعالى : فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) **سورة الشمس.**

أوجز لنا النبي صلى الله عليه وسلم الدين في كلمة واحدة فوصفه بأن دين النصيحة ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ

النَّصِيحَةُ ، قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : لِلهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِنَبِيِّهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ.**أخرجه "أحمد" ١٠٣/٤(١٧٠٦٤) و"مسلم" ٥٣/١(١٠٧).**

قَالَ اِبْن بَطَّال – رَحِمَهُ اللَّه – فِي هَذَا الْحَدِيث : أَنَّ النَّصِيحَة تُسَمَّى دِينًا وَإِسْلَامًا وَأَنَّ الدِّين يَقَع عَلَى الْعَمَل كَمَا يَقَع عَلَى الْقَوْل . قَال : وَالنَّصِيحَة فَرْضٌ يَجْزِي فِيهِ مَنْ قَامَ بِهِ ، وَيَسْقُط عَنْ الْبَاقِينَ . قَال : وَالنَّصِيحَة لَازِمَة عَلَى قَدْر الطَّاقَة إِذَا عَلِمَ النَّاصِحُ أَنَّهُ يُقْبَل نُصْحه ، وَيُطَاع أَمْرُهُ ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسه الْمَكْرُوه . فَإِنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسه أَذًى فَهُوَ فِي سَعَةٍ . **شرح النووي على مسلم ١٤٤/١.**

فالإنصات إلى النصيحة والعمل بها سبب في حصول الخير والبركة والنجاة من الهلاك والضياع ، قال تعالى :" وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) **سورة الأعراف.**

ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعاً قي ذلك ، فعَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا

عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا. **أخرجه "أحمد" ٣٦٨/٤. و"البُخَارِي" ١٨٣/٣(٢٤٩٣) و"التِّرمِذي"٢١٧٣ .**

قال الأصمعي:

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * * * تردد على ناصح نصحا ولا تلم

إن النصائح لا تخفى مناهلها * * * على الرجال ذوي الألباب والفهم

وقال آخر:

فكم من عدو معلن لك نصحه * * * علانية والغش تحت الأضالع

وكم من صديق مرشد قد عصيته * * * فكنت له في الرشد غير مطاوع

وما الأمر إلا بالعواقب إنما * * * سيبدو عليها كل سر وذائع

وقال الحسن: قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة. **أخرجه : ابن أبي الدنيا في " الأولياء " ٣٠/١.**

وهناك موانع أخرى للبركة منها : ضعف الإيمان والتقوى ،وضعف اليقين والتوكل على الله تعالى ،وعدم شكر الله تعالى على نعمه ، وعدم الحرص على أكل الحلال ، وعدم الصدق والأمانة في التعامل مع الناس، وانتشار الظلم وأكل أموال الناس بالباطل ، وهجر القرآن وترك والذكر والدعاء ،والقطيعة وعدم صلة الرحم ،والإسراف والتبذير ، إلى غير ذلك.

ثالثا : سبل تحصيل البركة

البركة أمل وعمل وهدف يسعى كل عاقل إلى تحصيله ، ولكن هـذا الهدف وذلك الأمل لن يتحقق إلا إذا سلك المسلم سبل تحصيله ومـن هذه السبل :

١- الإيمان والتقوى:

الإيمان والتقوى من أول السبل وأهمها في تحصيل البركة ، فالبركة لن تتحقق في حياة المسلم إلا بالإيمان والتقوى ، قال تعالى :" وَلَـوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) **سورة الأعراف.**

ويتضح لنا من قول الله تعالى أن الإنسان المؤمن التقي سوف يشعر بالبركة في حياته وفي زوجته وفي أولاده.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :إِنَّ اللّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدم تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلاَ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْـرَكَ.**أخرجه أحمد ٢/٣٥٨(٨٦٨١) و"ابن ماجة" ٤١٠٧ و"التِّرمِذي" ٢٤٦٦.**

فالذي يحافظ على العبادات ويسعى دائماً لزيادة رصيد إيمانه بربـه يكافئه الله تعالى بزيادة البركة له .

فالصلاة – مثلاً – كعبادة من أعلى وأسمى عبادات الإسـلام تكـون سبباً مباشراً في حصول البركة في حياة المسلم ، قال تعالى :" وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَـةُ لِلتَّقْوَى. **سورة طه: ١٣٢** .وقال سبحانه :" وَلَوْ أَنَّ أَهْـلَ الْكِتَـابِ

آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) **سورة المائدة .**

قال ابن قيم الجوزية: " وَأَمّا الصّلَاةُ فَشَأْنُهَا فِي تَفْرِيحِ الْقَلْبِ وَتَقْوِيَتِهِ وَشَرْحِهِ وَابْتِهَاجِهِ وَلَذّتِهِ أَكْبَرُ شَأْنٍ وَفِيهَا مِنْ اتّصَالِ الْقَلْبِ وَالرّوحِ بِاَللّهِ وَقُرْبِهِ وَالتّنَعّمِ بِذِكْرِهِ وَالِابْتِهَاجِ بِمُنَاجَاتِهِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَآلَاتِهِ فِي عُبُودِيّتِهِ وَإِعْطَاءِ كُلّ عُضْوٍ حَظّهُ مِنْهَا وَاشْتِغَالِهِ عَنْ التّعَلّقِ بِالْخَلْقِ وَمُلَابَسَتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَانْجِذَابِ قُوَى قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ إلَى رَبّهِ وَفَاطِرِهِ وَرَاحَتِهِ مِنْ عَدُوّهِ حَالَةَ الصّلَاةِ مَا صَارَتْ بِهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ وَالْمُفَرّحَاتِ وَالْأَغْذِيَةِ الّتِي لَا تُلَائِمُ إلّا الْقُلُوبَ الصّحِيحَةَ . وَأَمّا الْقُلُوبُ الْعَلِيلَةُ فَهِيَ كَالْأَبْدَانِ لَا تُنَاسِبُهَا إلّا الْأَغْذِيَةُ الْفَاضِلَةُ . فَالصّلَاةُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى تَحْصِيلِ مَصَالِحِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَدَفْعِ مَفَاسِدِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ مَنْهَاةٌ عَنْ الْإِثْمِ وَدَافِعَةٌ لِأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ وَمُطْرِدَةٌ لِلدّاءِ عَنْ الْجَسَدِ وَمُنَوّرَةٌ لِلْقَلْبِ وَمُبَيّضَةٌ لِلْوَجْهِ وَمُنَشّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ وَالنّفْسِ وَجَالِبَةٌ لِلرّزْقِ وَدَافِعَةٌ لِلظّلْمِ وَنَاصِرَةٌ لِلْمَظْلُومِ وَقَامِعَةٌ لِأَخْلَاطِ الشّهَوَاتِ وَحَافِظَةٌ لِلنّعْمَةِ وَدَافِعَةٌ لِلنّقْمَةِ وَمُنْزِلَةٌ لِلرّحْمَةِ وَكَاشِفَةٌ لِلْغُمّةِ وَنَافِعَةٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَوْجَاعِ الْبَطْنِ . " . **زاد المعاد ٨/٤١٥.**

وقال المناوي: "الصلاة معينة على دفع جميع النوائب بإعانة الخالق الذي قصد بها الإقبال عليه والتقرب إليه فمن أقبل بها على مولاه حاطه وكفاه لإعراضه عن كل ما سواه، وذلك شأن كل كبير في حق

من أقبل بكليته عليه" . **فيض القدير ١٣٠/٥.**

وفي إتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم الخير والبركة ، فمن السنة مثلاً في شهر رمضان المحافظة على السحور لأن فيه بركة ، عَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:تَسَحَّرُوا ، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً.**أخرجه أحمد ٢٢٩/٣(١٣٤٢٣) و"مسلم" ٢٥١٧ .**

فالإيمان والتقوى سبب لحصول البركة ومعهما لا تتعجب من وجودها ، ذكر معمر بن راشد: "أنه رأى باليمن عنقود عنبٍ حمل بغلٍ تام". **انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).**

ولنا العبرة في الحكاية التي حدثت مع أبي جعفر المنصور حينما بويع للخلافة، وذهب الناس يهنئونه بإمارة المؤمنين، ودخل عليه سيدنا مقاتل بن سليمان وكان أحد الواعظين.

هنا قال أبو جعفر لنفسه: جاء ليعكر علينا صفو يومنا، سأبدأه قبل أن يبدأني وقال له: عظنا يا مقاتل. قال مقاتل: أعظك بما رأيت أم بما سمعت؟ ذلك أن السمع أكثر من الرؤية، فالرؤية محدودة ومقصورة على ما تدركه العين، لكن السمع متعدد؛ لأن الإنسان قد يسمع أيضاً تجارب غيره من البشر.

قال أبو جعفر: تكلم بما رأيت. قال: يا أمير المؤمنين، مات عمر بن عبدالعزيز وقد ترك أحد عشر ولداً. وخلف ثمانية عشر ديناراً كُفن منها بخمسة، واشتروا له قبراً بأربعة، ثم وزع الباقي على ورثته. ومات هشام بن عبدالملك، فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع ثمانين

ألف دينار، غير الضياع والقصور. كان نصيب الزوجات الأربع هــو ثلاثمائة وعشرون ألف دينار، وهذا هو ثُمن التركة فقط. والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت بعيني هاتين في يوم واحد ولداً من أولاد عمر بن عبدالعزيز يحمل على مائة فرس في سبيل الله، وولدا من أولاد هشام بن عبدالملك يسأل الناس فـــي الطريـــق.**انـظر: تـفـسـير الـشـعـراوي ٧٦٣.**

وعمر هذا نفسه هو الذي قد تفاعل مع قوله تعالى: "إِنَّ وَلِيِّـــيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ" **[الأعراف١٩٦]** فقيل له وهو على فراش الموت: هؤلاء بنوك ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء؟! فقال: إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الـــصالحين، والله لا أعطيهم حقّ أحد، وهم بين رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه، ولا أبـــالي فـــي أيِّ واد هلك، ولا أدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيمـــا يعمل بعد الموت، ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم بهذا وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافـــة علـــيكم. **البـدايـة والـنـهـايـة ٣٨١/٩.**

وهذا كله تصديقا لقوله سبحانه :" وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواّ اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً "النساء: ٩.

٢- الـيـقـيـن وحـسـن الـتـوكـل:

ومن وسائل وأسباب تحصيل البركة في حياتنـــا : اليقـــين وحـــسن التوكل على الله تعالى ، قال سبحانه : "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّـــهَ يَجْعَـــلْ لَـــهُ

مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) **سورة الطلاق.**

فاليقين هو : اليقين هو العلم الذي يحمل صاحبه على الطمأنينة بخبر الله ، والطمأنينة بذكر الله ، والصبر على المكاره ، والقوة في أمر الله ، والشجاعة القولية والفعلية ، والاستحلاء للطاعات ، وأن يهون على العبد في ذات الله المشقات وتحمل الكريهات ، وكل ذلك سبيل إلى تحصيل البركة في حياة المسلم .

عَنِ الْحَسَنِ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِنَ الْيَقِينِ ، وَالْمُعَافَاةِ ، فَسَلُوهُمَا اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ.**أخرجه أحمد ٨/١(٣٨).**

روى عن حَيْوَة بن شريح التجيبي، الفقيه، المحدث، الزاهد، وهو من رواة الحديث الثقات، كان يأخذ عطاءه في السنة ستين ديناراً، فلا يفارق ذلك المكان الذي أخذ فيه العطاء حتى يتصدق بها جميعاً، فكان إذا جاء إلى منزله وجد الستين ديناراً، تحت فراشة، فبلغ ذلك ابن عم له، فتصدق لعطائه جميعا أراد أن يفعل مثل حيوة، وجاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئاً! فذهب إلى حيوة وقال: أنا تصدقت بكل عطائي، ولم أجد تحت فراشي شيئاً، فقال له حيوة: أنا أعطيت ربي يقيناً، وأنت أعطيته تجربة. يعنى: أنت كنت تريد أن تجرب، وتختبر ربك، فتصدقت، لتنظر النتيجة، وأما أنا فأتصدق وأنا راسخ اليقين بما عند الله عز وجلّ من الجزاء والعوض. **سير أعلام النبلاء ٤٩١/١١.**

والتوكل هو : الاعتماد المطلق على الله تعالى في جميع الأمور من جلب المنافع و دفع المضار وهو صدق التفويض والثقة بالله تعالى . وهو سبب من أسباب الخير والسعادة ،والبركة والزيادة ، والعزة والسيادة ، قال تعالى :" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ". **الأنفال:٢.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ ، أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ ، كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلاَنِ بِهِ ، فَإِذَا قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، قَالاَ : هُدِيتَ ، وَإِذَا قَالَ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، قَالاَ : وُقِيتَ ، وَإِذَا قَالَ : تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، قَالاَ : كُفِيتَ ، قَالَ : فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولاَنِ : مَاذَا تُرِيدَانِ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ. **أخرجه ابن ماجة (٣٨٨٦).**

قِيلَ لِحَاتِمٍ الأَصَمِّ – وكَانَ مِنَ الزُّهَّادِ – : عَلَى ما بَنَيْتَ أَمْرَكَ ؟ قَالَ : عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ قَالَ : بَنَيْتُ أَمْرِي عَلَى أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَلَى أَنَّ رِزْقِي لا يَأْكُلُهُ غَيْرِي ؛ فَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لا يَعْمَلُهُ أَحَدٌ غَيْرِي ؛ فَلَمْ أَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِينِي بَغْتَةً ؛ فَأَنَا أُبَادِرُهُ ، وَعَلِمْتُ أَنِّي لا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ كُنْتُ ؛ فَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْهُ أَبَدًا .**ابن عبر : المجالسة وجواهر العلم ٤/٢٣٥.**

وعَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :وْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ،

لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا. **أخرجه أحمد ٣٠/١(٣٠٥) و"ابن ماجة"٤١٦٤ و"التِّرمِذي"٢٣٤٤ الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٥٥٧.**

قال الشاعر :

إلى الرحمن ترتفع الأيادي * * * وليس لغيره نفع العباد
وباب الرزق بالإيمان يطرق * * * إذا أيقنت فأبشر بازدياد
وثق بالرب رزاق البرايا * * * كما وثقت به الطير الغوادي
إذا خرجت من الأوكار جوعى * * * تعود بطونها ملأى بزاد

قال لقمان لابنه:يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه أناس كثير ، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله ، وحشوها العمل بطاعة الله ، وشراعها التوكل على الله ، لعلك تبحر .

وعن سعيد بن المسيب قال: التقى عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسي فقال أحدهما لصاحبه: إن مت قبلي ، فالقني ؛ فأخبرني ما لقيت من ربك ، وإن مت لقيتك فأخبرتك ،فقال الآخر : أو تلقى الأموات الأحياء ،قال : نعم أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت ،قال: فمات أحدهما ، فلقي أخاه في المنام ، فقال : توكل وأبشر ، فلم أر مثل التوكل قط .**شعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ ، ابن أبي الدنيا : التوكل ٣٦.**

فالتوكل سبب في زيادة الإيمان ، وطريق إلى مرضاة الرحيم الرحمن ، وسبيل إلى دخول الجنان ، وواحة للسكينة والاطمئنان ، وفيه الكفاية من الهموم والغموم والأحزان .

قال تعالى : " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) **سورة آل عمران.**

والتوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب ، بل إن الأخذ بها من صدق التوكل ، وصحة الدين ، وسلامة المعتقد ، وقوة اليقين ، قال رجل للإمام أحمد رحمه الله: أريد أن أحج إلى مكة على التوكل بغير زاد، فقال الإمام أحمد مستنكرا وليقيم عليه الحجة: اخرج في غير قافلة، فقال الرجل: لا، إلا معهم، قال الإمام أحمد: فعلى جراب الناس توكلت. أي: إنك كاذب في هذا؛ لأنك ستعتمد على الناس في أكلك وشربك، ولست متوكلا على الله كما تدعي.

لذا فإن من حسن التوكل على الله تعالى السعي مبكراً في طلب الرزق فإن البركة في البكور ، عَن صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم:اللهمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا. قَالَ : وكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا ، بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ.وكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا ، وكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ.**أخرجه أحمد ٣/٤١٦(١٥٥١٧) و"الدارِمِي" و"ابن ماجة" ٢٢٣٦ والتِّرْمِذِيّ" ١٢١٢.**

فالتوكل على الله تعالى يفعل الأعاجيب ، ولقد قال أبو داود –صاحب السنن– عن نفسه: "شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا، ورأيت أترجة على بعير قطعتين، قُطعت وصيرت على مثل عدلين". **سنن**

أبي داود: كتاب الزكاة، باب: صدقة الزرع، تحت حديث (١٥٩٩).

وحكي أن حاتما الأصم كان رجلا كثير العيال وكان لــه أولاد ذكــور وإناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لأبــيكم أن يذهب إلى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا علــيكم لــو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيئا ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان لــه ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فإنه مناول للرزق وليس برزاق فــذكرتهم ذلــك فقــالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقتــه وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو ســكت مــا تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء وقالــت إلهــي وســيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وأنــك لا تــضيعهم فــلا تخيــبهم ولا تخجلني معهم فبينما هم على هذه الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيــت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقــالوا من أنت قال الأمير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها إلــى السماء وقالت إلهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الأمير على بابنا يستسقينا ثم أنها أخذت كوزا جديدا وملأتــه مــاء

وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الأميـر الكـوز وشـرب منـه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لأمير فقـالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم فقال الأمير لقـد سمعت به فقال الوزير يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا فقال الأمير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقـل مثلنا على مثلهم ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لأصحابه من أحبني فليلق منطقتـه فحـل جميـع أصـحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما أنزل الأمير رجع إليهم الوزير ودفع إليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء إنمـا يجب أن تفرحي فإن الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله إنما بكـائي كيف بتنا البارحة جياعا فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعـد فقرنا فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحـد طرفـة عـين .

الإبشيهي : المستطرف ١/١٤٩.

٣- القناعة والرضا :

القناعة والرضا هما السياج الذي يحمي المسلم من تقلبات الزمن ، وهما البستان الوارف الظلال الذي يأوي إليه المؤمن مـن هجيـر الحياة .

والإنسان بدون القناعة والرضا يقع فريســة لليــأس ، وتتناوشــه الهموم والغموم من كل حدب وصوب .

وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَــى (٥). **سورة الضحى.**

وفي القناعة والرضا الغنى الكامل ، والبركة الكاملة ،عَنِ الْحَــسَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِــنَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ، ثُــمَّ قَالَ : اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُــنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْــرَةَ الــضَّحِكِ تُمِيــتُ الْقَلْبَ. **أخرجه أحمد (٢/٣١٠ ، رقم ٨٠٨١) ، والترمذي (٤/٥٥١ ، رقم ٢٣٠٥) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٦٣٧ .**

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وســلم :لَــيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ولَكِــنَّ الْغِنَــى غِنَــى الــنَّفْسِ.**أخرجه أحمد ٢/٣٨٩(٩٠٥٠) و"البُخاري" ٨/١١٨(٦٤٤٦) و"التِّرمِذي" ٢٣٧٣.**

وقد فسر بعض أهل العلم قول الله – تعالى-: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَــةً وَلَنَجْــزِيَنَّهُمْ أَجْــرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) **[النحل: ٩٧]**. قالوا: هي القناعة؛ إذ لم يُعط المرء شيئًا مثل القناعة.

عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ، قَالَ : مَا نَقَصَ

مَالُ عَبْدٍ مِنْ صدَقَةٍ ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً ، فَصَبَرَ عَلَيْهَــا ، إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ ، إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَــابَ فَقْــرٍ .

أخرجه أحمد ٢٣١/٤ (١٨١٩٤) و"التِّرمِذي" ٢٣٢٥ صحيح ، ابن ماجة (٤٢٢٨).

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَــسَدِهِ ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الــدُّنْيَا.**أخرجه و"البُخَــارِي" ، فــي "الــأدب المفــرد"٣٠٠ و"ابــن ماجــة"٤١٤١ و"التِّرمِذي" ٢٣٤٦.**

قال أبو حاتم البستي: "إن تمكن المرء بالمال القليل مع قلة الهم أهنأ من الكثير للتعبة" ، قال أحدهم :

يتنافس التجارُ في الإكثار * من درهمٍ في المال أو دينار**

لو يُرزقُ التجارُ بعض قناعةٍ * لرأوا أن الفرقَ في الأصفار**

فالإنسان الذي يقنع ويرضي بكل ما كتب الله تعالى له ، يعيش سعيداً هانئ البال والفكر ، ويعوضه الله تعالى خيراً ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ:مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا : لاَ تُحَدِّثُوا أَبَــا طَلْحَــةَ بِابْنِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ ، قَالَ : فَجَاءَ ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْــهِ عَــشَاءً ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، قَالَ : ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ ، وَأَصَابَ مِنْهَا ، قَالَتْ : يَــا أَبَــا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ ، وَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَتْ : فَاحْتَسِبِ ابْنَــكَ ، فَــانْطَلَقَ ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ، فَقَــالَ

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا ، قَالَ : فَحَمَلَتْ ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ ، وَهِيَ مَعَهُ ، وكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ ، لاَ يَطْرُقُهَا طُرُوقًا ، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ ، وَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى ، قَالَ : تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ ، فَانْطَلَقْنَا ، قَالَ : وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمُوا ، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا أَنَسُ ، لاَ يُرْضِعَنَّهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ احْتَمَلْتُهُ وَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ : لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ الْمِيسَمَ ، قَالَ : فَجِئْتُ بِهِ ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ ، قَالَ : وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ ، فَلاَكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ ، قَالَ : فَمَسَحَ وَجْهَهُ ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ.**أخرجه أحمد ١٧٥/٣(١٣٨٣٦) و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) ١٢٥٤ و"مسلم" ٥٦٦٣.**

يقول الشافعي رحمه الله :

أمت مطامعي فأرحت نفسي * * فان النفس ما طمعت تهونُ
وأحييت القنوع وكان ميتا * * ففي إحيائه عرض مصونُ
إذا طمع يحل بقلب عبد * * علته مهانة وعلاه هونُ

يحكى أن رجلاً ذهب إلى أحد الصالحين يشكو إليه من قلة الرزق وعدم كفايته له ولأسرته،فقال له :اذهب لصاحب العمل وقل له أن يقلل أجرك! .فذهب الرجل لصاحب العمل وقال له ذلك...فوافق صاحب العمل فوراً ،وبعد فترة ذهب الرجل مرة أخرى إلى الرجل الصالح يشكو له من عدم كفاية الأجر...فقال له : اذهب لصاحب العمل وقل له أن يخفض أجرك مرة أخرى فذهب الرجل لصاحب العمل وقال له ذلك...ووافق طبعا على تخفيض أجره .وبعد فترة طويلة التقى هذا الرجل بالرجل الصالح...فسأله عن حاله ..فقال له الرجل...الحمد لله أجري الآن يكفيني ويفيض...ثم سأل الرجل الصالح : لماذا فعلت معي ذلك؟ .فقال له إنه أحس بأنه يأخذ أجراً زائداً عن العمل الذي يقوم به...وهذا الأجر الزائد كان ينزع البركة من الأجر...أما الآن فأنت تحصل على أجرك الذي تستحقه وهذا ما أعطاه البركة!!!.

قال الشاعر:

الرِّضا يخفِّف أثقا لي* ويُلقي على المآسي سُدولا**
أنا راضٍ بكل ما كتب الله * ومُزْجٍ إليه حَمْداً جَزيلا**
فالرضا نعمةٌ من الله لم يسعد ***بها في العباد إلا القليلا

٤- شكر الله تعالى على نعمه:

الشكر قيد للنعم يبقيها ويحفظها من الزوال، وهذا من أعظم آثار الشكر وثماره، فإن الإنسان يحب بقاء النعم التي هو فيها ويكره زوالها.

وقد دلت النصوص على أن الشكر سبب لبقاء النعم، وكفرها سبب في زواله،قال تعالى :" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) **سورة إبراهيم**.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : الشاكرون أطيب الناس نفوساً، وأشرحهم صدوراً، وأقرهم عيوناً، فإن قلوبهم ملآنة من حمده والاعتراف بنعمه، والاغتباط بكرمه، والابتهاج بإحسانه، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره، وذلك أساس الحياة الطيبة، ونعيم الأرواح، وحصول جميع اللذائذ والأفراح، وقلوبهم في كل وقت متطلعة للمزيد، وطمعهم ورجاؤهم في كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد . **الرياض النضرة ٨٦**.

ومن مأثور كلام الحكماء: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها،والشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة.

ولقد أمر الله تعالى المؤمنين الصالحين بدوام شكر الله تعالى على نعمه فقال : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) **سورة البقرة** ، وقال : " كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) **سورة سبأ**.

وقال الشاعر:

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * * * به الزيادة عند الله والناس

وقال آخر:

حافظ على الشكر كي تستجزل القسما * * * من ضيع الشكر لم يستكمل النعما

الشـكر لله كنزٌ لا نفاد له * * * من يلزم الشـكر لم يكســب به ندما

روى ابن أبي الدنيا في كتابه الشكر أنَّ رجلاً قال لأبي حازم سـلمةَ ابن دينار: "ما شكرُ العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً دفعته، قال: ما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقاً لله عز وجل هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفلُه طعاماً وأعلاه علماً، قال: ما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله عز وجل: { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ}**المؤمنون ٣**، قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إذا رأيت ميتاً غبطته استعملت بهما عمله، وإن رأيت ميتاً مقتّه كمقتهما عن عمله وأنت شاكرٌ لله عز وجل، فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجلٍ له كساءٌ فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر" **الشكر لابن أبي الدنيا (رقم:١٢٩).**

وعن على قال : إن النعمة موصولة بالشكر والشكر متعلق بالمزيد وهما مقرونان في قرن ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد . **أخرجه البيهقى في شعب الإيمان (١٢٧/٤ ، رقم ٤٥٣٢) [كنز العمال ٨٦١٧].**

قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : اُشْكُرْ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْك وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شَــكَرَك فَإِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِلنِّعَمِ إذَا كُفِرَتْ ، وَلَا زَوَالَ لَهَا إذَا شُكِرَتْ ، وَعَنْ عَلِيٍّ : احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ مَرْدُودٌ ، وعن الحسن قــال : إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكر قلبها عليهم عــذابا . **ابـن أَبـي الدنـيا : الشكر ١١.**

جاء رجل إلى يونس بن عبيد رحمه الله فشكا إليه ضيقا من حالــه ومعاشه واغتماما بذلك فقال: أيسرك ببصرك مئة ألــف ؟ قــال: لا، قال: فبسمعك؟ قال:لا، قال: فبلسانك؟ قال:لا، قال: فبعقلك؟ قــال:لا، وذكره نعم الله عليه ثم قال يونس: أرى لك مئات الألوف وأنت تشكو الحاجة .**حلية الأولياء ٣/٢٣.**

والمؤمن في شكره ينسب النعمة إلى المنعم ولا ينسبها إلــى غيــره لأن ذلك يُعد كفراً وجحوداً لصاحب النعمة.عَنْ أَبِي هُرَيْــرَةَ ، عَــنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِــنْ بَرَكَةٍ ، إِلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ ، يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْــثَ ، فَيَقُولُونَ : الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا.**أخرجه أحمد ٢/٤٢١(٩٤٤٤) و((مسلم)) ١/٥٩(١٤٥) .**

فكي تبقى النعم عليك ويبارك الله تعالى لك فيها لا بد أن تداوم على شكرها وتعرف قدرها .

٥- الحرص على الكسب الحلال:

أمرنا الإسلام الكريم بالحرص على الكسب الحلال ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) **سورة البقرة.**

وقال : {فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (١١٤) **سورة النحل.**

كما نهانا عن الكسب الحرام لأنه شؤم وبلاء على صاحبه، فبسببه يقسو القلب، وينطفئ نور الإيمان، ويحل غضب الجبار، ويمنع إجابة الدعاء ،بله إن وبال الكسب الحرام يكون على الأمة كلها فبسببه تفشو مساوئ الأخلاق من سرقة وغصب ورشوة وربا وغش واحتكار وتطفيف للكيل والميزان وأكل مال اليتيم وأكل أموال الناس بالباطل ، وشيوع الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وكل ذلك ممحق للبركة ، عائق في سبيل تحصيلها .

ولقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بأنه سوف يأتي على الناس زمان يتهاونون فيه في قضية الكسب فلا يدققون ولا يحققون في مكاسبهم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الحَلالِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ". **أخرجه البخاري في البيوع (٢٠٥٩).**

فالكسب الحرام مناف للحياء من الله تعالى ، ولا يتفق مع خوف المسلم وخشيته من ربه سبحانه ، عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للهِ ، قَالَ : لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ : أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. **أخرجه أحمد ٣٨٧/١(٣٦٧١) (الترمذي ٥٦٧/٤) . قال الألباني : حديث حسن ، الروض النضير (٦٠١) ، المشكاة (١٦٠٨) .**

وإن بعض الناس يتعجلون استبطاء الرزق عنهم فيطلبونه في الحرام ، ولا يدركون أن ما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ليس من عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته ". **(رواه الحاكم ، الصحيحة (٢٦٠٧) ، المشكاة (٥٣٠٠) .**

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام فجاء له يومًا بشيء فأكل منه، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟! فقال أبو بكر: وما هو؟ فقال: تكهَّنتُ لإنسان في الجاهلية وما أُحسنُ الكِهانة إلا أني خدعته، فَلقيَنِي فأعطاني بذلك هذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في

بطنه. وفي رواية أنه قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها اللهم إني أبرأ إليك مما حملت العــروق وخــالط الأمعــاء . **البخاري في كتاب المناقب، ٣٥٥٤.**

ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرب لبنًا فأعجبه، فقــال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ فقال: مررت بإبل الصدقة وهــم علــى ماء فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء.

وأوصت إحدى الصالحات زوجها وقالت له: يا هذا، اتــق الله فــي رزقنا، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

قال صلى الله عليه وسلم " إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به" **رواه الترمذي (٥٥٨) وصححه الألباني.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَبِيــعُ الْخَمْرَ فِي سَفِينَةٍ وَكَانَ يَشُوبُهُ بِالْمَاءِ وَكَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ قِرْدٌ قَالَ فَأَخَذَ الْكِيسَ وَفِيهِ الدَّنَانِيرُ قَالَ فَصَعِدَ الذَّرْوَ يَعْنِي الدَّقَلَ فَفَتَحَ الْكِــيسَ فَجَعَلَ يُلْقِي فِي الْبَحْرِ دِينَارًا وَفِي السَّفِينَةِ دِينَارًا حَتَّى لَمْ يَبْــقَ فِيــهِ شَيْءٌ. **رواه أحمد (٢ / ٣٠٦ و ٣٣٥ و ٤٠٧) و الحارث في " مسنده " (٥٠ / ٢ – زوائـده)و البيهقـي فـي " شعب الإيمـان " (٤ / ٣٣٢ / ٥٣٠٧) السلسلة الصحيحة " ٦ / ٨٢٦ .**

وأنشد أحدهم :

جمع الحرام على الحلال ليكثره * * * دخل الحرام على الحلال فبعثره

ولقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من أن تفتح لهــم بركات الأرض عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم "إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم مــن بركــات الأرض قيل وما بركات الأرض قــال زهــرة الــدنيا . **(البخاري في صحيحه ج ٥/ ص ٢٣٦٢ حديث رقم: ٦٠٦٣).**

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِــزَامٍ ، قَالَ:سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا الْمَالُ (وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيان : قَــالَ لِي : يَا حَكِيم ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ) خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيــهِ ، وَكَــانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَــدِ الــسُّفْلَى. **أخرجه "أَحمــد" ٤٣٤/٣ (١٥٦٥٩) و"البُخَــارِي" ١٥٣/٢ (١٤٧٢) و"مــسلم" ٩٤/٣ (٢٣٥١).**

فالغش والاحتكار والتعامل بالربا من أسباب محق البركة من الرزق؛ لأن الله تعالى يقول:"يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِــبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ" **البقرة: ٢٧٦.**

يقول سهل رحمه الله : من آكل الحرام: عصت جوارحــه شــاء أم أبى، ومن أكل الحلال أطاعت جوارحه ووفقت للخيرات.

٦- الصـدق والأمانة في التعامل:

الله تعالى يبارك في الإنسان الصادق الأمين باطنًا، وظــاهرا، ولقــد أحب الناس النبي صلى الله عليه وسلم لصدقته وأمانته حتى لقبــوه بالصادق الأمين.

والصدق والأمانة في البيع والشراء بل وفي جميع المعاملات سـبب لتحصيل البركة وحصول الخير ، قال تعالى :" وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) **سورة الزمر** .

قال تعالى :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) **سورة النساء**.

ولن تحصل البركة إلا مع وجود الصدق والأمانة ، نْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، رَفَعَهُ إِلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، أَوْ قَالَ : حَتَّى يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا ، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا ، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا. **أخرجه أحمد ٣/٤٠٢(١٥٣٨٨) و"البُخَارِي" ٣/٧٦(٢٠٧٩).**

قال الشاعر :

لا يكذب المرء إلاّ من مهانته * * * أو عادة السّوء أو من قلّة الأدب

لبعض جيفة كلبٍ خير رائحةٍ * * * من كذبة المرء في جدٍ وفي لعب

وقال آخر:

أد الأمانة ، والخيانة فاجتنب * واعدل ولا تظلم يطيب المكسب**

قال النووي روي أن جريرا رضي الله عنه اشترى له فرس بثلاثمائة درهم فقال جريرا لصاحب الفرس فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة قال ذلك إليك يا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة ثم لم يزل يزيد مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة

فاشتراه بها فقيل له في ذلك فقال بايعت رسول الله على النصح لكل مسلم .القاري : **مرقاة المفاتيح ٢١٦/١٤.**

وأما أن يريد الإنسان الحصول على المكاسب بالأيمان والحلف الكاذب فإن ذلك ممحق للبركة ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ.**أخرجه "البُخاري" ٢٠٨٧ و"مسلم" ٤١٣٣.**

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ : اذْهَبُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَ هَذَيْنِ ، لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَرْوَى ، فَقَالَ سَعِيدٌ : أَتُرَوْنِي أَخَذْتُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا ، أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :مَنْ أَخَذَ مِنْ الأَرْضِ شِبْرًا ، بِغَيْرِ حَقِّهِ ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ، وَمَنْ تَوَلَّى مَوْلَى قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ ، وَمَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَلَا بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهَا.**أخرجه أحمد ١٨٨/١(١٦٤٠).**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم :أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ ائتِنِى بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ . فَقَالَ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا . قَالَ فَأْتِنِى بِالْكَفِيلِ . قَالَ كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً . قَالَ صَدَقْتَ . فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ في الْبَحْرِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا ، يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِى أَجَّلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً ، فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ ، فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى

كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ ، فَسَأَلَنِى كَفِيلاً ، فَقُلْتُ كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً ، فَرَضِىَ بِكَ ، وَسَأَلَنِى شَهِيدًا ، فَقُلْتُ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ، فَرَضِىَ بِكَ ، وَأَنِّى جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا ، أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِى لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ ، وَإِنِّى أَسْتَوْدِعُكَهَا . فَرَمَى بِهَا في الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَهْوَ في ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا ، يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِى كَانَ أَسْلَفَهُ ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِى فِيهَا الْمَالُ ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا ، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِى كَانَ أَسْلَفَهُ ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا في طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِى أَتَيْتُ فِيهِ . قَالَ هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَىَّ بِشيء قَالَ أُخْبِرُكَ أَنِّى لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِى جِئْتُ فِيهِ . قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِى بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا.**أخرجه أحمد ٣٤٨/٣(٨٥٧١) والبخاري تعليقًا في ١٥٩/٣(١٤٩٨).**

وقد حكى لنا النبي صلى الله عليه وسلم قصة ثلاثة من الأمناء الذين كانت الأمانة سبباً في نجاتهم ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ كَانَ لِى أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً ، فَنَأَى بِى فِى طَلَبِ شَىْءٍ يَوْمًا ،

فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَىَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حتَّى بَرِقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِى بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَىَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْنِى فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّىَ بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهْىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّى اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الذي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِى بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَىَّ أَجْرِى. فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِى. فَقُلْتُ إِنِّى لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ. **أَخْرَجَهُ أحمد ١١٦/٢(٥٩٧٣) و"البُخَاري" ١١٩/٣(٢٢٧٢) و"مسلم" ٩١/٨(٧٠٥١).**

٧- العدل وعدم الظلم:

الظلم وعدم العدل سبب مهم لنزع البركة من الأشياء، فالله تعالى قد أمرنا بالعدل والإحسان في كل الأمور ، قال تعالى :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) سورة النحل.

قال الشاعر :

لا تظلمن إذا كنت مقتدرا * * * فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه * * * يدعو عليك وعين الله لم تنم

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ:جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلاَّ قَضَيْتَنِى فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِى مَنْ تُكَلِّمُ قَالَ إِنِّى أَطْلُبُ حَقِّى فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرٌ فَنَقْضِيَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَقْرَضَتْهُ فَقَضَى الأَعْرَابِىَّ وَأَطْعَمَهُ فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ فَقَالَ أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لاَ يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ.أخرجه ابن ماجة (٢٤٢٦) حديث رقم: ٤٥٩٧ في صحيح الجامع.

قيل : وجد في خزائن بني أمية حنطة، الحبة بقدر نواة التمر، وهي في صرةٍ مكتوب عليها: "هذا كان ينبت في زمن العدل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أمر أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ . وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أمر أُمَّتِـــي شَـــيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ. **أخرجه أحمد ٩٣/٦ و"مسلم" ٧/٦.**

ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيرا إلى عمر رضي الله عنه وافق ذلك غيبته عن منزلة فما زال الموكل بالهرمزان يقتفى أثـــر عمر حتى عثر عليه في بعض المساجد نائما متوسدا درته فلما رآه الهرمزان قال هذا والله الملك الهنيء عدلت فأمنت فنمت والله إنـــي قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحـــد منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة. **الغزالي: التبر المسبوك ص ٢١.**

قال حافظ إبراهيم:

و راع صاحب كسرى أن رأى عمرا** بين الرعية عطلا و هو راعيها**

و عهده بملوك الفرس أن لها ** سورا من الجند و الأحراس يحميها**

رآه مستغرقا في نومه فرأى ** فيه الجلالة في أسمى معانيها**

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ** ببردة كاد طول العهد يبليها**

فهان في عينه ما كان يكبره ** من الأكاسر والدنيا بأيديها**

و قال قولة حق أصبحت مثلا ** و أصبح الجيل بعد الجيل يرويها**

أمنت لما أقمت العدل بينهم ** فنمت نوم قرير العين هانيها**

خرج الأمير شروان للصيد فأدركه العطش فرأى في البرية بـــستاناً وعنده صبي فطلب منه ماء فقال ليس عندنا ماء قال ادفع لي رمانة فدفعها إليه فاستحسنها فنوى أخذ البستان ثم قال ادفع لـــي أخـــرى فدفع له أخرى فوجدها حامضة فقال أما هي من الشجرة الأولى قال نعم قال كيف تغير طعمها قال لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلـــك

في نفسه ثم قال ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى فقال كيف صلحت قال بصلاح نية الأمير (**نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للصفوري ص ٧**).

قال ابن أصبغ الهمداني والفتح في " المطمح " كان الناصر كلفا بعمارة الأرض وإقامة معالمها وانبساط أمرها واستجلابها من أبعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره الذائع خبره المنتشر في الأرض خبره واستفرغ وسعه في تنميقها وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فأراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكر بالإنابة والرجوع فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى (أتبنون بكل ريع) إلى قوله تعالى (فلا تكن من الواعظين) [الشعراء ثم وصله بقوله فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والإسراف في الإنفاق عليه بكل جزل وقول فصل قال الحاكي فجرى فيه طلقا وانتزع فيه قوله تعالى أفمن أسس بنيانه [التوبة ١٠٩] إلى آخر الآية وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجأته والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والندب إلى الإعراض عنها والإقصار عن طلب اللذات ونهى النفس عن إتباع

هواها فأسهب في ذلك كله وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا وضجوا ودعوا وأعلنوا التضرع إلى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ وقد علم أنه المقصود به فبكى وندم على ما سلف له من فرطه واستعاذ بالله من سخطه إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري فأسرف علي وأفرط في تقريعي ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني استشاط غيظا عليه فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه إذ كرهته ! فزجره وانتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون وإني لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه ولكنه أحرجني فأقسمت ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا وقيل إن الحكم اعتذر عما قال منذر وقال يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح وما أراد إلا خيرا ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية لعذرك فأمر حينئذ الناصر بالقصور ففرشت وفرش ذلك المسجد بأصناف فرش الديباج وأمر بالأطعمة وقد أحضر

العلماء وغيرهم من الأمراء وغص بهم المجلس فدخل منــذر فــي آخرهم فأومأ إليه الناصر أن يقعد بقربه فقال له يا أمير المــؤمنين إنما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب فجلــس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ثم ذكر هذا القائل بعد هذا كلاما من كلام المنذر يأتي قريبا وقحط الناس آخر مدة الناصر فأمر القاضــي منذر المذكور بالبروز إلى الاستسقاء بالناس فتأهب لذلك وصام بين يديه أياما ثلاثة تنفلا وإنابة ورهبة واجتمع له الناس فــي مــصلى الربض بقرطبة بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القــصر ليــشارف النــاس ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى والضراعة له فأبطأ القاضــي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بــدار النــاس إلــى ارتقائه واستكانتهم من خيفة الله وإخباتهم له وابتهالهم إليه – رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح خطبته بأن قال يــا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يــك مــن عادته فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع تاليا قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) إلى قوله تعالى [الأنعام ٥٤] ثم قال استغفروا ربكم إنه كــان غفــارا استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وتزلفوا بالأعمال الصالحة لديــه قــال الحاكي فضج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه وانبعث الإخلاص بتذكيره فلم يــنقض النهــار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن

الأزل والله لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه أن قال يوما - وقد سرح طرفه في ملأ الناس عندما شخصوا إليه بأبصارهم فهتف بهم كالمنادي - يا أيها الناس وكررها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء إلى الله [فاطر ١٥] إلى بعزيز فاشتد وجد الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى في خطبته وقيل إن الخليفة الناصر طلبه مرة للاستسقاء واشتد عزمه عليه فتسابق الناس للمصلى فقال للرسول - وكان من خواص الناس - ليت شعري ! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا إنه منتبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخس الثياب مفترش التراب وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني.

قال الحاكي فتهلل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله وقال يا غلام احمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس إلا عن السقيا . **راجع : الفتح الاشبيلي : مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ١/١٣٠ ، أحمد بن المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١/٥٧٣ .**

٨- القرآن والدعاء والاستغفار:

القرآن الكريم منبع الخير والبركة في حياتنا ، ولقد جاء وصف البركة له في أكثر من موضع ، قال تعالى :" وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّـــذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَـــى صَـــلَاتِهِمْ يُحَـــافِظُونَ (٩٢) **سورة الأنـعام.**

وقال تعالى :" وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَـــارَكٌ فَـــاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُـــوا لَعَلَّكُـــمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) **سورة ا؟لأنـعام.**

وقال تعالى :" وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَـــأَنْتُمْ لَـــهُ مُنْكِـــرُونَ (٥٠) **سورة الأنـبياء.**

قال ابْنَ رَوَاحَةَ رضي الله عنه:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا * * * انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِن الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا * * * بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ * * * إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ

فالقرآن فيه الشفاء والدواء ،قال تعالى :" وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُـــوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَـــسَارًا (٨٢) **سورة الإسراء.**

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ أَفْـــضَلَ مَـــا أُعْطِى السَّائِلِينَ وَفَضْلُ كَلاَمِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلاَمِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَـــى خَلْقِـــهِ. **أخرجه الدَّارِمِي (٣٣٥٩) والتِّرْمِذِيّ" ٢٩٢٦ حديث رقم: ٦٤٣٥ في ضعيف الجامع.**

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْـــذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ، قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً

، ثُمَّ قَالَ : تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَآلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ ، يُظِلاَّنِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَـــانِ، أَوْ غَيَايَتَـــانِ ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ ، كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ فَيَقُولُ : مَا أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِـــنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِـــشِمَالِهِ، وَيُوضَـــعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لاَ يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا ، فَيَقُولاَنِ : بِمَ كُسِينَا هَذَا ؟ فَيُقَالُ : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا ، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ ، هَذًّا كَانَ ، أَوْ تَـــرْتِيلاً. **أخرجه أحمد ٣٤٨/٥(٢٣٣٣٨) و"الدارِمِي" ٣٣٩١ و"ابن ماجة" ٣٧٨١ .**

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَيَتَّسِعُ بِأَهْلِهِ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ ، وَالْبَيْـــتُ الَّـــذِي لاَ يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَيَضِيقُ بِأَهْلِهِ وَيَقِلُّ خَيْرُهُ.**مصنف ابن أبي شيبة ٤٨٦/١٠.**

وأما المداومة على ذكر الله تعالى ففيه الخير والبركة ، وتركه فيـــه الضنك والضيق ، قال تعالى : فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَـــشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَـــوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْـــتُ بَـــصِيرًا

(١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَــوْمَ تُنْـــسَى (١٢٦) **سورة طه .**

فالدعاء وذكر الله تعالى من أسباب البركة ، فها هــو الزبيــر بــن العوام قد أوصى ولده عبد الله أن يقضي دينه الذي يبلغ ألفَ ألــف ومائتي ألف –يعني مليونا ومائتي ألف– وقد قال لولده عبــد الله: "يا بني إن عجزت عنه في شيءٍ فاستعن عليه بمولاي، فوالله مــا وقعت في كربةٍ من دينٍ إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه دينــه"، وكان لم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين له، ودارت الأيام وبــارك الله في أرض الزبير وبيعت، فبلغت تركة الزبير خمسين ألف ألــف ومائتي ألف –يعني خمسين مليونًا ومائتي ألف– وكان لــه أربــع نسوة، فصار نصيب كل واحدةٍ منهن ألف ألف ومائتي ألف –يعنــي مليونا ومائتي ألف– كمقدار الدين الذي عليه. هذه القــصة **رواها البخاري في صحيحه.١١٧٣/٣.**

عن عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ قَــالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِــنْ كُــلِّ هَــمٍّ فَرَجًــا وَرَزَقَــهُ مِــنْ حَيْــثُ لا يَحْتَــــــسِبُ.**أخرجــه أحمــد ٢٤٨/١(٢٢٣٤) و"أبــو داود" ١٥١٨ و"النَّسائي" في "عمل اليوم والليلة" ٤٥٦.**

قال ابن صبيح : شكا رجل إلى الحسن البصري الجدوبة فقال لــه : استغفر الله . وشكا آخر إليه الفقر ، فقال له : استغفر الله . وقــال له آخر : ادع الله أن يرزقني ولداً ، فقال له : استغفر الله . وشــكا

إليه آخر جفاف بستانه ، فقال له : استغفر الله . فقلنا له في ذلك ؟ فقال : ما قلت من عندي شيئاً ، إن الله تعالى يقول في سورة نوح : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا . " **تفسير القرطبي ٣٠٢/١٨.**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ : أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ.**أخرجه أحمد ٣٤٦/٣(١٤٧٨٨) و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) ١٠٩٦ و"مسلم" ١٠٨/٦(٥٣١٠).**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِىَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا.**أخرجه "أحمد" ٣١١/٦(١٨٦٧) و"البُخاري" ٤٨/١(١٤١) و"مسلم" ١٥٥/٤.**

قال الشاعر:

وإني لأدعو اللهَ والأمرُ ضيّقٌ * * * عليَّ فما ينفكُ أن يتفرّجا

وربَّ فتىً ضاقتْ عليه وجوهُهُ * * * أصاب له في دعوة الله مَخْرَجا

وقال الشيخ المكُّوديّ:

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ * * * وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصدُ

وقفت بباب الله وقفةَ ضارعٍ * * * وقلت: إلهي إنني لك قاصدُ

ولست تراني واقفاً عند باب مَنْ * * * يقول فتاهُ: سيديْ اليومَ راقدُ

٩- الصدقة والبر وصلة الرحم :

الصدقة سبب في طهارة المال وتزكيته وبركته ، قال تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) **سورة التوبة .**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِىَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِىَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ.**أخرجه أبو داود (١٦٠٩) و"ابن ماجة" ١٨٢٧.**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ ، إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى ، وَلاَ آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ ، إِلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ ، إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالاً تَلَفًا.**أخرجه أحمد ١٩٧/٥(٢٢٠٦٤).**

وأما ترك دفع الزكاة لمن يستحقها فإنه يكون سبباً في محق البركة من الرزق ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِى رَبَاحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ:أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِى قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِى أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ

إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِى أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ.**أَخْرَجَهُ ابن ماجة (٤٠١٩) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ١٦٧.**

وهذه قصة حكاها لنا النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن البركة تنزع من المرء إذا لم يشكر الله تعالى على نعمه ومنع الناس مما أعطاه الله إياه من نعم ، فعَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى عَمْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ ثَلاَثَةً في بَنِى إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّى الذي قَدْ قَذِرَنِى النَّاسُ . قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِىَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا قَالَ فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ شَكَّ إِسْحَاقُ إِلاَّ أَنَّ الأَبْرَصَ أَوِ الأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ وَقَالَ الآخَرُ الْبَقَرُ قَالَ فَأُعْطِىَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا قَالَ فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّى هَذَا الذي قَذِرَنِى النَّاسُ . قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِىَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ . فَأُعْطِىَ بَقَرَةً حَامِلاً فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا قَالَ فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَىَّ بَصَرِى فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ

فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بصَرَهُ . قَالَ فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ . فَـأُعْطِىَ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا قَالَ فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ وَلِهَـذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ . قَالَ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَـى الأَبْـرَصَ فـي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِىَ الْحِبَالُ في سَفَرِى فَلاَ بَلاَغَ لِىَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِى أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ في سَفَرِى . فَقَالَ الْحُقُـوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ كَأَنِّى أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّـاسُ فَقِيـرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَـابِرٍ . فَقَـالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ . قَالَ وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُـورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ . قَالَ وَأَتَى الأَعْمَـى فـي صُـورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِىَ الْحِبَالُ في سَفَرِى فَلاَ بَلاَغَ لِىَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا في سفري فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِى فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِىَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَـى صَـاحِبَيْكَ.**أخرجه البخاري ٢٠٨/٤(٣٤٦٤) و"مسلم" ٢١٣/٨.**

وأما الصدقات فأثرها في الخير عظيم وفي البركة عميم ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ الـصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ عَـنْ مِيتَـةِ الـسُّوءِ.**أخرجه التِّرْمِذِي (٦٦٤).**

روى عن حَيْوَة بن شريح التجيبي، الفقيه، المحدث، الزاهد، وهـــو من رواة الحديث الثقات، كان يأخذ عطاءه في السنة ستين دينـــاراً، فلا يفارق ذلك المكان الذي أخذ فيه العطاء حتى يتصدق بها جميعاً، فكان إذا جاء إلى منزله وجد الستين ديناراً، تحت فراشة، فبلغ ذلك ابن عم له، فتصدق لعطائه جميعا أراد أن يفعل مثل حيوة، وجـــاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئاً! فذهب إلى حيوة وقال: أنا تـــصدقت بكل عطائي، ولم أجد تحت فراشي شيئاً، فقال له حيوة: أنا أعطيت ربي يقيناً، وأنت أعطيته تجربة. يعنى: أنت كنت تريد أن تجـــرب، وتختبر ربك، فتصدقت، لتنظر النتيجة، وأما أنا فأتصدق وأنا راسخ اليقين بما عند الله عز وجلّ من الجـــزاء والعـــوض. **سير أعلام النبلاء ٤٩١/١١.**

يقول أبو العلاء:

ياقوتُ ما أنتَ يا قوتٌ ولا ذهبُ * * * فكيف تُعجِزُ أقواماً مساكينا

واحسبُ الناس لو اعطوا زكاتهمُ * * * لما رأيت بني الإعدام شاكِينا

فإن تعِشْ تبصر الباكين قد ضحكوا * * * والضاحكينَ لِفُرطِ الجهل باكينا

لا يتركن قليلَ الخير يفعلُه * * * من نالَ في الأرض تأييداً وتمكينا

ومن البر الذي يكون سبباً في البركة إطعام الطعام ، قال تعـــالى : " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِـــنْ رَبِّنَـــا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِـــكَ الْيَـــوْمِ وَلَقَّـــاهُمْ

نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَــبَرُوا جَنَّـــةً وَحَرِيـــرًا (١٢)

سورة الإنسان .

عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ قَالَ:لَمَّا قَدِمَ النَّبِىُّ صـــلى الله عليـــه وســـلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليـــه وسلم قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلاَثًا فَجِئْتُ فِى النَّـــاسِ لأَنْظُرَ فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ شَىْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ وَأَطْعِمُـــوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَــامٌ تَــدْخُلُوا الْجَنَّـــةَ بِـــــسَلاَمٍ.**أخرجـه أحمـد ٥/٤٥١(٢٤١٩٣) و"الـدارمي" ١٤٦٠ و٢٦٣٢ و"ابن ماجة" ١٣٣٤الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ١٠٩**

عَنْ أَنَسٍ ، أَوْ غَيْرِهِ ؛أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم اسْــتَأْذَنَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله ، فَقَالَ سَعْدٌ : وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله ، وَلَمْ يُسْمِعِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، حَتَّى سَلَّمَ ثَلاَثًا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ سَعْدٌ ثَلاَثًا ، وَلَمْ يُسْمِعْهُ ، فَرَجَعَ النَّبِـــيُّ صلى الله عليه وسلم وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا سَلَّمْتَ تَسْلِيمَةً إِلاَّ هِيَ بِأُذُنِي ، وَلَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْـــكَ وَلَـــمْ أُسْمِعْكَ ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَكْثِرَ مِنْ سَلاَمِكَ ، وَمِنَ الْبَرَكَةِ ، ثُـــمَّ أَدْخَلَـــهُ الْبَيْتَ ، فَقَرَّبَ لَهُ زَبِيبًا ، فَأَكَلَ نَبِيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّـــا فَرَغَ قَالَ : أَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَـــةُ ، وَأَفْطَـــرَ عِنْـــدَكُمُ الـــصَّائِمُونَ.**أخرجـه أحمـد ٣/١٣٨(١٢٤٣٣) . وأبـو داود (٣٨٥٤).**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛بِهَذِهِ الْقِصَّةِ ، فِي طَعَامِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَقَالَ فِيهِ : فَقَامَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى الْبَابِ ، حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا كَانَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، قَالَ : هَلُمَّهُ ، فَإِنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ فِيهِ الْبَرَكَةَ.**أخرجه مُسْلم ٦/١٢٠(٥٣٧٠).**

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ، وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ.**أخرجه "أحمد" ١/٢٩٣(٢٦٧٢) و"مسلم" ٦/١١٤(٥٣٤٨).**

وكذا من وسائل وأسباب تحصيل البركة صلة الرحم ، قال تعالى محذراً من قطيعة الرحم : " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) **سورة محمد.**

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ.**أخرجه أحمد ٣/٢٤٧(١٣٦٢٠) و"البُخَارِي" ٣/٧٣(٢٠٦٧) و"مسلم" ٨/٨(٦٦١٥).**

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُعَمِّرْنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ "**أخرجه أحمد (٦/ ١٥٩)حديث رقم: ٣٧٦٧ في صحيح الجامع .**

قال الشاعر :

رَأَيْتُ صَلاَحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ * * * وَيُعْدِيهِمْ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدْ

يُعَظَّمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلاَحِهِ * * * وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الأهْلِ وَالْوَلَدْ

وقال آخر :

وحَسْبُكَ من ذلٍّ وسوءِ صنيعةٍ * مناواةُ ذي القربى وإن قيل: قاطعُ**

ولكنْ أواسيه وأنسى عيوبَه * لِتُرْجِعَهُ يوماً إليَّ الرواجعُ**

ولا يستوي في الحكمِ عبدانِ: * واصلٌ وعبدٌ لأرحامِ القرابةِ قاطعُ**

١٠- القصد وعدم الإسراف :

أمرنا الإسلام بالقصد والاعتدال ونبذ التبذير والإسراف ، قال سبحانه: " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" **الأعراف:٣١.**وقال سبحانه : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) **سورة الإسراء.**

وعَنْ صَالِحِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ جَدِّهِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ.**أخرجه النَّسَائِي فِي الكبرى ٦٧٣٧. (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٦٧٤ في صحيح الجامع .**

عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا والْبَسُوا ، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلاَ سَرَفٍ ،

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ. **أخرجه أحمد ١٨١/٣ (٦٦٩٥) و"ابن ماجة" ٣٦٠٥ و"التِّرمِذي" ٢٨١٩ .**

ولذا فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :" وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ". **أخرجه النَّسَائِي ٥٤/٣ .**

عَنِ الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَنِي كَاتِبُ الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ أن اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ. **المعجم الكبير للطبراني ٣١٦/١٥(صحيح) انظر حديث رقم: ١٧٤٩ في صحيح الجامع .**

فالسرف والتبذير طريق إلى الترف الذي يكون سبباً في محق البركة من الرزق وشيوع الفساد والفجور ، قال تعالى : " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) **سورة الإسراء.**

قال الرازي في تفسيره :" في الآية مسائل :

المسألة الأولى : قوله : { أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا } في تفسير هذا الأمر قولان :

القول الأول : أن المراد منه الأمر بالفعل ، ثم إن لفظ الآية لا يدل على أنه تعالى بماذا يأمرهم فقال الأكثرون : معناه أنه تعالى يأمرهم بالطاعات والخيرات ، ثم إنهم يخالفون ذلك الأمر ويفسقون وقال صاحب «الكشاف» : ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى يأمرهم

بالفسق فيفسقون ، إلا أن هذا مجاز ومعناه أنه فتح عليهم أبــواب الخيرات والراحات فعند ذلك تمردوا وطغوا وبغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ، أن المأمور به إنما حــذف لأن قوله؛ { فَفَسَقُواْ } يدل عليه يقال : أمرته فقام ، وأمرتــه فقــرأ لا يفهم منه ، إلا أن المأمور به قيام أو قراءة فكذا ههنا لما قــال : " أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا " وجب أن يكون المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا لا يقال يشكل هذا بقولهم أمرته فعصاني أو فخــالفني فــإن هذا لا يفهم منه أني أمرته بالمعصية والمخالفة؛ لأنــا نقــول : إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له ، فكذلك أمرته ففسق يدل علــى أن المأمور به شيء غير الفسق لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضد المأمور به فكونه فسقاً ينافي كونه مأموراً بــه ، كمــا أن كونهــا معصية ينافي كونها مأموراً بها ، فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق. **تفسير الرازي ٣٠/١٠.**

أما الاقتصاد وعدم الإسراف سبب في تحصيل البركة ، عَنْ عَبْــدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ.**أخرجه أحمد ٤٤٧/١(٤٣٦٩) (ضعيف) انظر حديث رقم : ٥١٠١ في ضعيف الجامع .**

يُميت الطعام القلب إن زاد كثرةً * * * كزرعٍ إذا بالماء قد زاد سقيُه

وإن لبيبا يرتضي نقص عقله * * * يأكل لقيماتٍ قد ضلّ سعيه

أبصرت أم المؤمنين ميمونة ــ رضي الله عنها ــ حبة رمان فــي الأرض فأخذتها وقالــت: «إن الله لا يحــب الفســاد». **أخرجه أحمد (٣٤٤/٥) الألباني في الصحيحة (٣٥٣) وحسنه في صحيح الجامع (٢٦٦٥).**

وقال أحمد بن محمد البراثي: «قال لي بِشر ابن الحارث لما بلغه ما أنفق من تركة أبينا: قد غمني ما أُنفق عليكم من هــذا المــال؛ ألا فعليكم بالرفق والاقتصاد في النفقة؛ فلأن تبيتوا جياعاً ولكــم مــال أعجبُ إليّ من أن تبيتوا شباعاً وليس لكم مال، ثم قال له: اقرأ على والدتك السلام وقل لها: عليك بالرفق والاقتصاد في النفقة». **عيون الأخبار، لابن قتيبة (٣٥١/١).**

والتقط أبو الدرداء ــ رضي الله عنه ــ حباً منثوراً في غرفة لــه، وقال: «إن من فقه الرجل رفقه في معيشته».**إحياء علوم الدين مع اتحاف السادة المتقين (١٦٠/٦).**

وقال عمر ــ رضي الله عنه ــ: «الخرق في المعيشة أخوف عندي عليكم من العوز، لا يقلُّ شيء مع الإصلاح، ولا يبقى شــيء مــع الفساد».**مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي (١٩٦).**

وقال أحمد بن محمد البراثي: " قال لي بِشر ابن الحارث لما بلغه ما أنفق من تركة أبينا: قد غمني ما أُنفق عليكم من هــذا المــال؛ ألا فعليكم بالرفق والاقتصاد في النفقة؛ فلأن تبيتوا جياعاً ولكــم مــال أعجبُ إليّ من أن تبيتوا شباعاً وليس لكم مال، ثم قال له: اقرأ على والدتك السلام وقل لها: عليك بالرفق والاقتصاد في النفقــة" **عيون الأخبار، لابن قتيبة (٣٥١/١).**

فالسرف والتبذير قد يكونان السبب في زوال النعمة عن العبد وفي تحولها عنه ، فهذا هو المعتمد ابن عَبَّــاد كان من ملوك الأندلس، ويملك الأموال الطائلة، والقصور العظيمة، ولما اشــتهت زوجتــه

وبعض بناته أن يتخوَّضن في الطين أمر بالعنبر والعود فوضع في ساحة قصره، ورُشَّ عليه ماء الورد وأنواع من الطيب، وعُجِن حتى صار مثل الطين؛ فتخوَّضت فيه أسرته المترفة. وما ماتت تلك الأسرة المترفة حتى ذاقت طعم الفقر وألم الجوع؛ إذ استولى يوسف بن تاشفين على مملكة ابن عباد، وكان النسوة اللائي تخوَّضن في العود والعنبر لا يجدن ما يأكلن إلا من غزل الصوف بأيديهن الذي لا يسد إلا بعض جوعهن.

وهذا أبو عبد الله الزغل من آخر ملوك غرناطة الأندلسية باع أملاكه فيها بعد أن استولى عليها النصارى، وحمل مالاً عظيماً قُدِّر بخمسة ملايين من العملة المعروفة آنذاك بـ (المراويد) ورحل إلى إفريقيا؛ فقبض عليه سلطان فاس وصادر أمواله، وسمل عينيه، ورماه في السجن بسبب بيعه غرناطة للنصارى وتخليه عنها، ولما خرج من السجن لم يجد من يطعمه ويؤويه، فأخذ يستعطي الناس في الأسواق، ويطوف وعلى ثيابه رق غزال مكتوب عليه: (هذا سلطان الأندلس العاثر المجد) لعل من يراه يرحمه ويعطيه بعض المال. . انظر: خلاصة تاريخ الأندلس، لشكيب أرسلان (٣٥٩).

فهذه بعض سبل تحصيل البركة في حياة المسلم، جعلنا الله وإياكم ممن يقولون فيعملون ويعملون فيخلصون ويخلصون فيقبلون ويقبلون فيفوزون ويسعدون.

الفهرس